

الرملُ ديوانُ النخيل

الرمْلُ ديوان النخيل

تقديم: سمير عطا الله

الطبعة الثانية - كانون الأول ٢٠١٨

لوحة الغلاف بريشة

رلى درباس

الإخراج الفني

رضا مفلح



منتدى
طرابلس الشعري

مؤسسة شاعر الفيحاء
سابا زريق الثقافية



المقدمة

سمير عطالله

لست من الذين يقدمون على المغامرة ببساطة
أو بالأحرى تخطيت ذلك العمر، ومنذ فترة وأنا أتردد
في وضع «مقدمة» لباقة رشيد درباس وافتتانه الأزلي
بالشعر، فكيف للنثر، مهما ارتقى، أن يقدم القصيد،
وكيف للحداء أن يقدم للموسيقا، وحدها، الموسيقا،
أعطيت حق تقديم الشعر أو استباقه، لأنها مثله،
مثل طبيعته وتكوينه، إيقاع يهام به ويصغى إليه،
ولا يجوز إغراقه في الحواشي.

لا حاشية في الأمر. الشعر هنا هو العمود.
والإيقاع هو الزاوية. والبناء، في نهاية الأمر، هو هذا
العمل الهندسي الشرقي الجميل، مزخرف لكن في
الجوهر. ومطرز لكن في المعنى، وعذب في الإيقاع،
عذب في النغم، عذب في القافية، كأنما الشعر هذا،
حَفَر اليَد الفائقة المهارة، ومرآة النفس العظيمة
الطيبة.

إذا أردت تصديقًا على هذا القول، ابدأ بقراءة
رشيد درباس عن رفيق الحريري: «النفوس الكبرى
تترك الدنيا مطمئنة إلى أن الشعر الكبير سيتولى
الارتقاء إلى مستوى الوصف الملحمي، في أبيات قليلة
ومدّ هائل».

حاولت الشعر في صغري وفي شبابي، وأدركت
أنني دون غناه، فتخلّيت، ولكن انبهارى بالشعراء
لم يتوقف. وهيامي بالشعر ما زال كالهيام بالربيع،
أو بضاف البحيرات، وقد فوجئت عندما عرفت أن

رشيد درباس يتصدى للشعر، كما تتصدى حسناء ابن
الرومي للحب، فيفيق كل ما فيها من مشاعر ومن
عطر ومن نغم، وكنت أظن هذا الصديق العزيز،
مُكرِّسًا نفسه للعمل الوطني والسياسي، ومفتونًا فقط
بالمدينة الجليلة التي تدعى طرابلس، فإذا في منازل
بيوت فسيحة لكل ما هو طيب وصادق وارتقائي.
وإذا البيت الأجمل هو بيت الشعر وإيقاعات رشيد
درباس.

المرآة

توالتِ الفصولُ فوقَ شرفتي
لكنّها ظلّت... فسيحةَ الشبابِ
تهوى الشموس... والضبابُ
وتزرعُ الأحلامَ في نافذتي...

تصونني من البياتِ في مقامِ الذكرياتِ
وتشخذُ الأبصار... كي لا يُصدىءَ العينَ السباتُ
تولدُ التيارَ في سلكِ الوريدِ
وتنشرُ الأشعارَ في توترِ البرق... وفي همسِ البريدِ
كم طيرتُ حروفها التي أوتُ
مثلَ العصافيرِ إلى عشِّ الكتابِ

وأطلقت جوانح الهوى... لتسبق الصدى
وعطرت للعاشقين موعدًا
فأرجأ الحلم الغدا
ولم يُقِم لدورة الأرض... حساب...؟

أَلَمْ نَوَدَّ للزمانِ شوطه؟
أَمْ أَنَا فِي رحلةٍ، تَجْرِها قوائِمُ تدورُ حَوْلَ نَفْسِها؟
يا أَيُّها الحوْذِيُّ لم أَسْمَعْ لسوطٍ لَسَعَةً تهْوي على حِداها...
هل يصمُدُ الصَّلصالُ من تَلَقَّائِه؟
أَمْ أَنَّهُ لمهْجَةٍ مَرَدَّتْ
وفكرةٍ تَجَرَّدَتْ
وللرؤى تَشَبُّ فوق رمسها؟
تُرى سَمائُنا هي التي تَهَدَّلَتْ...؟
أَمْ انها المِراةُ قد تَجَعَّدَتْ...؟

هاتف في السحر

مرحى لصوتك في الأثير
كالورد يسبقه العبير
يسري إلى سمعي، كما يسري
قوامك في الحرير
أهديت لي عينيك...
فارتسمت
مراعاة النظر
البدْر يُرغُّ بؤبؤا
في مقلة الزمن الضريز
والرّوض يشفق بالرّوى ويلوّن الزّهر الزفير

الغَيْثُ يَوْقِظُ عَشْبَهُ
من غفوةِ الحُلُمِ الوَثِيرِ
فيرفُ الدُورِيَّ في قفصِ الرِّدَاذِ...
ولا يطيرُ
عَرَفْتُ على وَتَرِ المِياه...
رهافةُ الرِيشِ الأَسِيرِ
أهديت لي سمعًا ترققَ في حناياه
الخريرُ
فأَقْضَيْني في مَضْجَعِي
بُعْدُ الخَرِيرِ عن الغَدِيرِ

الْحُورُ الْعَاشِقُ

أنا الحُورُ... ثوبي حريرُ الظلالِ
مَرَّقُ شمسكِ منه نسيجَ الخيالِ
فترفو الثقوبَ بنانُ الليالي.

يواكبكِ الحبُّ كيفِ اثنتيتِ
وإِما دَنَوْتُ يحاذرُ وَصْلا
نسختكِ أصْلا
ضممتكِ لما نَأَيْتِ.

نَظَّمْتُكَ في رَتَيِّ ديبِ هواءِ
وفي مقلتيِّ تفاصيلَ ترقى إلى الما وراءِ

قرأتُ على الكفِّ خطَّ الفؤادِ
فأدركتُ سرَّ احتقانِ الحروفِ
لقد ضقتُ شعراً
لقد ضقتُ شعراً
وصرتُ كتاباً يتيماً الرُّفوفُ...
... هو النَّهْرُ هَامَ على مائه
مضى يشرئبُ نخيلاً... يبتُّ عيونَ البلخِ
يمدُّ هوائيه سَعَفًا أو طيوراً
ليعرف كيف تواري المصبُّ بأرجائه
أنا الحَوْرُ... صُبِّي حنانك في قامتي،
لأرْفَ على حَدَقَاتِ الشجونِ بهْدَبِ الفرخِ
وأحيا رسوماً على دَفْتِيكَ...
فيجري عُبَابُكَ في سطوراً

سَيِّدَةُ الرِّيحِ

كلما أَطْفَأَتْ شَمْعَهُ
ضَاءٌ فِي الْفُؤَدَيْنِ... نُورٌ
كُرَّةُ الْعَمْرِ تَدُورُ...
فِي فُضَاءٍ... ثَقَبَتْ أَحْشَاءَهُ
أَحْزَانُ دَمْعِهِ

أَنْتِ يَا سَيِّدَةَ الرِّيحِ الَّتِي هَبَّتْ عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ
عَبَثَتْ فِي أَطْلَسِ النَفْسِ...
فَطَاحَتْ بِالْحُدُودِ الْآمِنَةِ
أَيُّ إِقْلِيمٍ غَدَا مَأْوَى دُوَارِي
أَيُّ مَعْنَىٍّ لِلْأَغَانِي الْآسَنَةِ

إنني أشدو بعيدًا عن مدار الجاذبيَّة
فخطوطُ الطولِ والعرضِ...
احتباسٌ لطيور الأجدية...

هزيع الفجر

إلى مصطفى صيداوي ورشيد فهمي كرامي
وبرهان غلاييني ومعن زيادة الذين أسرجوا لنا
الفجر ثم غابوا في هزيعة

أسلاك الشمس تذيع كلامًا معسول الألوان
فتدير الأرض لها أذنًا للحنن، وأذنًا للنسيان
وتدور، فتخلع قشرتها... وتجددُها بعناد الدهر
لكأنَّ الغيثَ حبالُ السُّرَّة بين الغيم وبين الزهر
أو أنَّ البرق يذيب الرعد خريفًا في أحشاء النهر

أسلاك الشمس تُكبِّل ماء البحر
والملح يصبر أعظمنا لزمان الحشر

فتهبُّ الريحُ نشيجًا فوق الكُرَّة... القبرُ
الملحُ يجفُّ... فيُطوى في قاعِ الحَقَبِ
والروحُ تخفُّ... تَبَخَّرُ من ثقبِ السَّبَبِ
تتسامى... تحشرُ أجسادَ السُحُبِ
وتذوبُ حنينًا لرداءِ منسوجٍ من بالي النسبِ
أتنفَسُ من رئةِ القَصَبِ... فتسيلُ لَحُونُ القلبِ أنينُ
أدركتُ صغيرًا أن الساعةَ ذاتُ رنينِ
وشهدتُ فصولَ العمرِ تَمِيعُ على شُرُفاتِ رؤَاي...
فَتَحَتِ الصيفِ صقيعُ
وذبولُ الورقِ الأصفرِ مرسومٌ ببنانِ ربيعِ
أمسكتُ بأرسانِ الأمواجِ لأُسَلِّسَها...
فبلَوْتُ المرفأَ كيف يضيغُ
أسرَجْتُ الفجرَ... وجدتُ زمامَ الفجرِ هزيعُ.

الرمْل ديوان النخيل

في معجم الصحراء دُونَكَ النخيلُ
فتوهَّج المعنى الجليلُ
لكنَّا لم نقتفِ الرملَ الدليلُ
لم نقرأ العَبْرَاتِ في «عين الخليل»

كان الكتيبُ كتابَنَا...
صفحاته كانت رسالاتِ العروض إلى البحورُ
كم بعثرتها الريحُ ما بين البوادي والثغورُ
لكنَّها لا تَمحي فيها السطورُ
فالرمل يَحْتَزن الكتابة مثلما اختزن الشعورُ
الرَّمْلُ مرساةُ العصورُ

نَزَفْتُ عُرُوقَ الرَّمْلِ...
فَاصْفَرَّتْ حُرُوفُ
وَعَرَا مَلَاَحَهَا... خَرِيفُ
وَتَعَرَّتِ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقِ الْمَجَازِ...
وَعَنْ ثَمَارِ قَوَامِهَا... سَقَطَ النَّصِيفُ
هَجَرْتُ طَيَّوْرَ مِنْ بَيَانٍ...
عِنْدَمَا جَفَّ الْحَفِيفُ
فَالصَّمْتُ يَفْتَرِشُ الْقَصِيدَةَ...
وَالسَّرَابُ عَلَى مَعَالِمِهَا يَطُوفُ

صَوْنِي مِدَادُكَ فِي الْوَرِيدِ وَمَقْلَةٍ الْمُسْتَقْبَلِ
وَدَّرِي الْجَنَى فِي السُّنْبُلِ
فَمَسَارِبُ الْكَلِمَاتِ تَنْبِضُ مِنْ دَيْبِ الْجَدُولِ
وَخُطُوطُهَا مُبْتَلَّةٌ... بِنَدَى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

في غير ذي زرع سَعَتْ...
وسعى لها الضيفان... فاخضر السبيل
طافت لتستسقي السماء...
وزادها صبرٌ جميل
هل زمزمٌ قلبت لها الوجه البخيل؟!
أولم يمنَّ الله بالذَّبحِ البديل؟!
والخمر... هل نصبتَ دنانُ الخمر...
في قانا الجليل؟!
لكننا لا نقتفي الرمل الدليل...
ويحُّ لنا... يا ويحَ أبناء الخليل
من قاتلٍ... يندسُّ في جسد القتل
تتقمَّصُ الأفعى رشيقَ حروفنا
وتغلُّ في عُشِّ السطور الغافله

للرأس... حدّ الفاصلهُ
للسّم ترياق من النقط المضيئة
في المعاني الذابلة
من يحفرُ المعنى ليمتأحَ الكنوزَ السائلة؟
من ذا يفكّ حجارةَ المبنى على سَنَنِ المظللِ بالغمامه؟
ويشيدُ أبراجًا لزرقاء اليمامة...؟
صوني رمالك في الضلوع النّاحلة
وترسّمي النحوَ الخصب...
فهذه الصحراءُ ليست قاحلة.

الرمْل ديوان النخيل
جلسَ ابنُ رشيدٍ فوق دكّته... على قَدَمَيْهِ آثار الوضوء
الفكر لم يمَسْهُ سوءُ
الجسم مهورٌ بأختام الردى منذ النشو

الرمْل ينهل من رَمادِ رفاتِهِ حتى يَضوءُ
فَتَلَّ الرُّؤى نورًا ودَلَّاهُ لنا من خَلْفِ نافذَةٍ
تُطِلُّ على إجاباتِ السُّؤالِ
أَللَّهُ يَقْذِفُ نورَهُ في صدرِهِ من يَتَنَشَّقُ الفِكرَ الزَّلَّالُ
والمستَضِيءُ معلقٌ بالحبل... مشنوقُ الخيالِ
من سَلَّةِ الفِصحى تَساقطُ دُرُّهُ...
فتَلَقَّفَ العَرَبِيُّ أَجودَهُ
وشَيَّدَ مَجْدَهُ... حينَ الفَتى العَرَبِيِّ من مَجْدِ الرياداتِ استَقالَ
في هامِشِ الديوانِ يجلسُ فوق دَكَّتِهِ... ويرطُن مفرَّدًا
وسوادُ أهلِ الضادِ لا يدرون ما «فصلُ المِقالِ»
خلع ابنُ خلدونِ عِمامَتَهُ، وخبأَ رأسَهُ
وتَهالَكَ المَأْمُونُ مطعونًا بِمِسمومِ النِّصالِ...
يتَكَرَّرُ الإِعْرابُ والأَعْرابُ قَمِييرًا وحالًا.

الرحلتان

حَفَرَ الرعد الجبالا...
بشِفَارٍ من مضاء البرق في جوفِ الصخورِ
ونفاذِ الغيثِ في عمقِ الدهورِ...
كلما أترع بُرّاً... زلزل الصوتُ المجالا...
زرع الرهبةَ فينا... فجنيناها غلالا...
مسحَ الثلجَ محبّبٍ... يشحن اللونَ... وصالا...
يجعل الأبيض دفئاً نصطليه...
أُتْراه يجبل الأرضَ بنورِ
أم تراه يخزن البرقَ زلالا...
فإذا غاب وميضاً... عوّض الغيبةَ لمعاً في عيون تتلالا؟

أعذبُ الرقراقِ... ضوءٌ في مسيلٍ
أجملُ الماءِ شعاعٌ ينحني... ثم يميلُ
أروعُ الألوانِ من ضوءِ وماءٍ قُرْخٍ يسطعُ بحرًا وخيالًا
قوسُهُ ترهو بإيلافِ العناصرِ
وانتظامِ الغيمِ في قيدِ الدوائرِ...
حسبه في رحلتَيْه...
أنه الماء...
على أشكاله الحسنَى...
توالى...

درّة من ضلع الحجر

يشرئّب الموج حتى يجذب الشمس إليه
بتلابيب الشعاع
خَصْلَةٌ من شعرها، فرّت على سرب حمام
شهقت أجنحةً بالضوء... شَعَّتْ كمرايا من سلام
ثم غاصت
في الظلام...

درّة لم يَجْمِها حِضْنُ المحارة
لفظتْ في اليمّ أنفاسَ البريق
خَضَبَتْه بتلاوين البكارة

أُغْمِدْتُ فِيهِ الْحَرِيقُ
فَتَوَلَّى الْمَاءَ إِخْصَابَ اللَّالِي بِاللَّهَبِ
مَوْلَجًا فِي رَحِمِ الْأَصْدَافِ رَمَلَا
نَافِخًا فِي بَطْنِهَا رَوْحًا وَحَمَلَا...
تَوَلَّدَ الدَّرَّةُ مِنْ ضِلَعِ الْحَجَرِ،
تَرَسَّلَ الْإِشْعَاعُ فِي لَيْلِ الضِّيَاعِ
تَقْبَسُ الْأَنْسَامُ مِنْ هَمْسِ الشَّجَرِ
وَتَوْدِيهَا رِيحًا لِلشَّرَاعِ...
وَأُنِينًا فِي الْعَصَبِ.

يَا أَبَاهُ...
لَمْ يَعِدْ حِضْنُكَ حِصْنًا لِلْحَيَاةِ
أَصْبَحَ الْوَالِدُ تَابُوتَ فَتَاهُ
أَصْبَحَ التَّابُوتُ صَنْدُوقَ الْخَرِيدَةِ

كَفَنُ الأَبْنَاءِ... مشرُوعُ قصيدِهِ
تكشِفُ القناصَ... مهزومًا بأسرارِ الطريدِ
كلما أَرَدَى وليدًا... أنبتَ الرملَ جديدَهُ
وإذا لانت قنأة... ركبَ الأطفالُ للدهرِ قناه...

لكِ قلبي يا أُمِّي...
قالت العِينانُ عندَ المغربِ
أَنْتَ لَنْ تُبْلَغَ أُمِّي أَيَّ ظَلَمٍ حلَّ بي
فَنساءُ الأرضِ يشهدن احتضاري
عبرَ أقمارٍ وألوانٍ جليَّةِ
إِيهِ أُمِّي... كم بكتني أمهاتٌ قبل أن تبكي عَلَيَّ
أَنْتَ لَا تَدْرِينَ أَنِّي صرْتُ نَجْمًا فِي السَّوَاتِلِ
بعد حينٍ... فِي بَرِيدِ المَوْتِ تأتي جثتي...
طردًا على أَكْتَافِ قاتِلٍ

وسيلقيني إلى حزن الثواكل
لم أعد مُلْكك أُمي...
جَاوَزَ الشَّعْرُ الرَّوِيَّ
فَسَلِيَ عني تَرَابِي... وسلي عني الحواملُ...
واذكريني كلما شاهدتِ طفلًا
يُشْبِهُ الفَجَرَ النَّدِيَّ...

صلاة الزمان والظلال

أَكُنَّا لُخْضِرَ... الْأُطَافِرِ... جَلَّا
لَتُنْشِبَ فِينَا زَمَانًا تَوَلَّى
وَتَجَرَّحَ عَطْرًا ذَوَى وَاضْمَحَلَّا

تُعْتَقُ فَيئًا... قَمَائِلَ دَلَّا
أَمِنْهُ حَمِيمُ النِّسِيمِ... تَدَلَّى
فَجَسَّ الْمَفَاصِلَ... خَلَّا... فَخَلَّا؟...

هُوَ السَّنْدِيَانُ إِلَيْهِ... تَعَلَّى
وَمَدَّ الْفُرُوعَ ابْتِهَالًا... وَصَلَّى
تَيَمَّمْ شَمْسًا... تَوَضَّأَ طَلَّا

وَأَوْسَعَ لِلذَّاكِرِينَ... مَحَلًّا
فَأَمَّ طَيُورًا... تُطَاطِئُ... ذُلًّا
وَتَرْفَعُ لَحْنًا... دُعَاءً تَجَلَّى

هُوَ السَّنْدِيَانُ... يُرْتَلُّ... كَلًّا
يُسَبِّحُ غَصْنًا... وَيَسْجُدُ... ظَلًّا

على قبر عبد الناصر

القبر يندي بالطيوبِ
وحميمٍ أحزانِ القلوبِ
العشب لم ينبُت على لهفِ المفارقِ
والدروبِ
تتمرد الذكرى...
فلا يلتام جرحٌ... بالندوبِ
ضمَّ الثرى عينيه...
فانبثقَ الشعاعُ من الثقوبِ
وبدت لنا قسَماته
خلف المشاعر والشحوبِ

مُتَبَسِّمًا...
وجبينه العالي تغضن بالخطوبِ
تمتد قامته
كسارية الرؤى بين الغيوبِ
ويداه خفق شراعه الجاري...
إلى الأفق الرحيبِ
كم راض للأمواج أنسامًا
من الريح اللعوبِ
مستدرجًا فوق الخليجِ
بشائر الغيم السكوبِ
ومحرّضًا لجج المحيط على التمرّد والثوبِ
أهدى إلى جيد الرمالِ...
قلادة الوادي الخصيبِ
فتقلّد العلمُ النجومَ بأخضرِ العرقِ الصبيبِ

يجري وراء فراته
بربابة النيل الطروب
ويبتُّ عبر قناته
شوق الحبيب إلى الحبيب،
لهفي وقد طوي الشراع
فمن يصفق للهبوب؟؟

سار الشروق بشمسه
متعجلاً نحو الغروب
مستودعاً ليل الضريح رفات أنوار المغيب
«ذهب الذين تحبهم»
فاذهب...
إلى الزمن الكئيب

وادي العرايش

إلى صديقي «عادل شويري»

مياهُهُ لَا تَتْعَبُ	وَلَا اللَّحُونُ تَنْضُبُ
كَأَقْصَا فِي غَوْرِهِ	رَبَابَةٌ... وَمُطْرَبُ
تَسِيلُ مِنْ أَوْتَارِهَا	سُلَافَةٌ... لَا تُسْكَبُ
لَكِنَّهَا بَاهَةً	تَلْهُو بِنَا... وَتَلْعَبُ
عَرِيشُهُ وَعَرْشُهُ	نِعْمَ الْجَوَارُ الطَّيِّبُ
وَادٍ صَدَاهُ... خَمْرُهُ	وَكْرَمُهُ... الْمَذْهَبُ
دِنَانُهُ مِنْ صَخْرِهِ	نَشْجُهَا... وَنَشْرَبُ
و«عادل» كَمَوْجَةٍ	تَصْفُو لَنَا وَتَعَذُّبُ
يَرْجُّهُ النهر على	ضفافه ويصْحَبُ

آهٍ لِّجرحِ كَرَمَةٍ	كِرْيُهَا مَخْضَبُ
أَعْنَابِهِ لَزْحَلَةٍ	عَقِيدَةٌ... وَمَذْهَبُ
تَبْتُنَا... مِنْ رَاحِهَا	كَمَا الشَّعَاعُ... يَنْشِبُ
وَنُخِنَ فِي مَدَارِهَا	كُوكِبَةٌ... وَكُوكِبُ

جَنَّةُ يَوْسُفَ الصِّدِّيقِ

منزل صديقي جوزيف غمرون رحمه الله
في «قنات» من أعمال جبة بشري

دَثْرُ الْجَبَّةِ مِنْ بَرْدِ الزَّمَانِ
بِصَلِيلِ السَّنْدِيَانِ
وَالْتِمَاعِ النَّبَعِ فِي نَضْلِ (قَنَاتِ)
بِصُخُورٍ أَخْفَتِ الْبَاسَ بِقُقَّازِ نَبَاتِ
كُلُّ قَدِّيسٍ لَهُ عَيْنٌ زَلَالُ
وَمَزَارٌ فِي ظَلَالِ،
يُوسُفُ الصِّدِّيقِ مُحْرُوسٌ بِنَهْرٍ وَطَوَاحِينِ غَلَالِ
وَلَهُ السَّبْعُ السَّمَانِ

وله العُزوةُ من آلِ صنوبرٍ
والنُسَيْماتُ العذارى من بني مسكٍ وعَنْبَرٍ
وكرومُ الشمس في فيءِ الغمامِ
بعضها ضوءٌ... وبعضُ من دماء الأرض... قانُ
أغصنُ أكرمتِ الأضيافَ في حقلِ خُوانٍ
هي للماءِ مرايا ووسامُ
نمتطي الشوق ونُلوي لمغانيها اللجامُ
نهبطُ الأدنى من الوادي، ... فنعلو في الجنانِ

إلى يقظان بن حي

أيا بُنَيَّ
إن كنت مأخوذاً بمعسول الكلام
عن جَنَّةٍ... لقادم الأعوام
تفوقُ بالحُسنِ... عدنْ
أنهارها من عسلٍ... ومن لبنْ
فضاؤها أرجوحةُ الوَسْنِ
مكانها... ممتنعٌ على الزَّمنِ
فاصبرْ لما بعدَ الكَفْنِ.
إن جاءتِ العنقاءُ تستهويك بالشكلِ الحَسَنِ
ولَوْنَتِ بالوردِ أوراقَ المنامِ

ولوَحَّتْ بحصرم من حلب
وراية من «العلا للعرب»
أو بَلَح من اليمَنُ
كي تترك القياد في قبضتها...
وتسلس الحصان والزمَامُ
بحجة البصيرة التي ترى إلى أَمَامُ
لأنها مزعومة من صُلب زرقاء اليمَامُ
فاعلم بأنك اشتريت خدعة... بياهظ الثمن
حذار... خضراء الدمَنُ
لكي تردَّ الشرَّ عنك... والبلاءُ
. يقول بعض الحكماء .
عليك بالبخورِ والطلاسمِ
وخرزة من طاقم التماثيم...

وبالرُّقى والتمتمه...
عليكَ أَنْ تَتْلَوْ مَا لَنْ تَفْهَمَهُ
لَأَنَّ مَنْ يَحْتَكِرُ التَّفْسِيرَ
سَوْفَ يَشْرَحُ الْمَعَانِيَ النَّقِيَّةَ الْمَقَاصِدِ
وَالْعَذْبَةَ الْمَوَارِدِ
بِأَسْطَرٍ مَرِيرَةٍ... وَمِبْهَمَةٍ
لَأَنَّهُ الْمَلَمُّ بِالشَّوَارِدِ
يَمْشِي عَلَى بَصِيرَةٍ مَطْهَمَةٍ
وَيَقْتَنِي نَظَارَةً مَعْظَمَةً
تَرَى فَقَط... إِلَى وَرَاءِ

إِنْ كُنْتَ مَأْخُودًا بِمَعْسُولِ الْكَلَامِ
بَيْنَ وَرَاءٍ... وَأَمَامِ
فَاعْلَمْ أَنَّ الْحَاضِرَ انْتَهَى إِلَى هَبَاءِ

ونهره قد صار ممصول اللبن
وورده مؤجل لموعد بعد الكفن
لهفي على دار السلام
قد سردوا قبورها من المنام
فابحث لأهلي عن ولي،
وشتتوا أشلاءها... فابحث لجدي عن عظام
قلبي على الدار التي يحرسها، «بئ» و«هي»
ستقفز الغول على أسوارها،
فاحذر من الخلّ الوفي
واغسل هموم القلب في حزن المقام.
اذهب إلى شط العرب
واقراً تباريح الخليج
بملتقى الدمين في النهريْن في جرح الحسين،
في طهارة المزيغ

بالأزرقِ المسفوحِ من عِراقةِ النَّسَبِ
وفي نزيهِ الحبرِ من حُرِّ الكُتُبِ
وفي نجيعِ النَّفْطِ... لونِ الأَرْجَوَانِ
لأنه ينبع من وريدنا... كما يقول الأَقْحَوَانُ
أَبْعَدَ سَبِيِّ بَابِلٍ؟
آه... عِرَاقَنَا السَّبِيَّ

جِيَادُ الْجَسَدِ

خَلَعَ النُّهْرُ وَشَاحَ الزُّبْدُ
وَارْتَدَى اللَّيْلُ الْمَوْشَى بِالْقَمَرِ
فَاخْرَجِي يَا نَغْمَةً مِنْ كَبْدِي
وَاسْتَرِيحِي فِي غِلَلَاتِ الْخَدَرِ

كَفِّكِي الْأُخْزَانَ عَنْ صَفْصَافِهِ
لَوْنِي الْأَعْيُنَ مِنْ ضَوْءِ الصَّبَاحِ
أُسْكُبِي الْبَسْمَةَ فِي أُعْطَافِهِ
وَاقْطِفِي الْأَنْسَامَ مِنْ سَفْحِ الرِّيحِ

أودِعُ الظلمةَ حُلُمي لغدي
كي أراهُ صورةً تُحيي الإطارَ
ما الذي يَجْمَعُه في مَرْقَدي
ويذرِّيهِ على ضوء النهار؟

قد طواني أيها النهرُ السَّفَرُ
والرؤى لا تنطوي في خَلدي
بَعْدَ المرمى وما كلَّ النظرُ
إنما كلَّتْ جِياذُ الجسدِ

أين يا حورُ تقاسيمُ الميَاهِ
أين أوتارُ الخريرِ المرهفِ

لفظ المجرى إلى الشطّ حصاهُ
فاستغاثتُ وشوشاتُ الصّدَفِ

اخرجني يا نعمةً من كبدي
واقْرأي الرمل وسرّ الوَدَعِ
لستُ أخشي من دنوّ الموعدِ
وعزيفٍ من مقامِ الهلعِ

رحلةُ الحِنطةِ منذ البيدرِ
ليس تثنّيها معاناةُ الطريقِ
تَصِلُ التبرَ بصحنِ الحجرِ
فَيَصِلُ الحُلّيُّ في خيرِ الدقيقِ

رفرف الغصنُ على أطيّاره
فتغاوت كالثمارِ الغُرْدِ
وروّتْ في مشتهى أشعاره
عن سليمانَ حديثَ الهددِ

عين يعقوب

سكنتها السبع الأول
وسكنتني طوال العمر

العينُ تشقُّ مسارِها في الدُّلبِ إلى غيمِ التكوينِ
وزلاهُ الماءِ يرتلُ ما يترقرقُ فينا طولَ سنينِ
للعينِ ملائكةٌ من صُلبِ صنوبرها... وشموعٌ عينِ
يعقوبُ نبيُّ، باركه الرحمنُ بقُدَّاسِ الشربينِ

وجهُ الأوراقِ الداكنُ خبأ كَفَّ الريحِ وفعلَ اللمسِ
لكنَّ قوامَ الحَوَرِ طروبٌ يرقصُ إن يمَسَّسه الهمسُ
فيُطلُّ الوشيُّ اللامعُ فوق الثوبِ يُسيلُ لعابَ الشمسِ
ويُحيلُ الحزنَ القاتمَ بَرَقًا... رَعَشًا في أوتارِ الخمسِ

الشعرُ عمودٌ منسرحٌ، في رَحْبِ فضاءٍ منسرحٍ
أَتَسْلَقُ حَدَّ قَوافِيهِ... أَتَرَصَّدُ أَلوانَ البَلَحِ
ما سرُّ نبيذِ الشمسِ... وكيف تَعْتَقُ في قوسِ قزحٍ؟
ما سرُّ الأخضرِ... كيف يصيرُ مزيجَ الأحمرِ... والفرحِ؟

تنتابُ صنوبرَ ذاكرتي أَناتٌ مُثَخَنَةُ الأنعامِ
فهبوبُ الريحِ يوجِّجُها... ويبرِّدُها رُوحُ الأنسامِ
أطيافُ الأجدادِ انحازتْ من مرقدِها... نحو الأحلامِ
لتغلَّ حفيظاً عبرَ زهولِ العمرِ وأغصانِ الأيامِ

يستلقي الورد على الألوان... جريماً معتلَّ العطرِ
فَبَنَاتُ الجنِّ، عبثنَ بلبِّ الأرضِ، وأنسالِ الزهرِ
فَرَّتْ بالطهرِ بنفسجَةٍ، وانسلَّتْ من تحتِ السطرِ
نَبَأَتْ بعبيرِ تواصلِها... كنبوءِ البشرى في السِّفْرِ

لِللَّوْزِ حَدِيثٌ تَنْشُرُهُ صُحُفٌ مِنْ طَبْعَةِ أَيَّارِ
فَحُرُوفُ الثَّلْجِ مُوَشَّحَةٌ بِاللَّيْلِ وَاللَّوْنِ النَّارِ
وَالنَّحْلُ يَشْكُ أَزَاهِرَهُ. يَتَغَذَّى بِالْمَعْنَى الْعَارِي
لِبَعِيدَ كِتَابَتِهِ شَهْدًا... بِالْإِبْرَةِ وَالْعَسَلِ الْجَارِي

يَتَأَوَّدُ عِنْقُودٌ... فَتَلَوُّوحُ كَرْمَتِهِ بِأَكْفٍ خُضْرُ
مَنْ حُلْمِ الْكَرْمَةِ أَمْ مِنْ سَكْرِهَا يَنْسَابُ شِعَاعُ الْخُمْرِ؟
هَلْ يَوْجَدُ خَيْطٌ يَفْصِلُ بَيْنَ نَهَارِ الصَّحْوِ وَلَيْلِ السُّكْرِ؟
أَيُّرَاقُ الْيَوْمِ عَلَى خَمْرِ وَعَلَى غَدِهِ يَسْتَرْخِي الْعُمْرُ؟

يَشْتَارُ الْجِذْرُ سَخَاءَ التُّرْبَةِ... يُوَدِّعُهُ كَوْرَ الرِّمَانِ
فَتَدُورُ النُّجُومُ هَائِمَةً... مَا بَيْنَ تَسَابِيحِ الْأَلْوَانِ
تَلْتَفُّ غُصُونٌ حَتَّى تَسْتَرْ عُرْيَ الزَّهْرَةِ فِي الْأَفْنَانِ
فَتَشْبُ مِفَاتِنَهَا، لِتَفْكَّ الْعُرْوَةَ عَنْ سَرِّ الْفَسْتَانِ

لطيور الفجر تُعِدُّ حليبًا منبثًا من صدر الطين
تتزاخم أجنحة جَوْعَى، في حُضن بَارَكه تشرين
وتفارقه إما شَبَعَتْ، ناجيةً من فخ التدجين
يبقى... ويلوذ بمعطفها... وينقُرُهُ... عصفور التين

ما بين الغيد وخَصِر الدوحة، غنَّجٌ موصول النسبِ،
يَحْطُرُنْ، فَتَهْفُو أَفئدةٌ، ويميل السُرُّ من الطربِ،
فتموجُ الروضةُ ألوانًا... ويتيهُ الحَصْرُ عن السببِ،
هل نَفْخُ الرِّيحِ يُرَقِّصُها... أم همس النسيمة في القصبِ؟

مِنْ جَوْزَتِنَا، يتدفَّق ظلُّ مهموزٍ بخرير النورِ
من وُبَرِ عباءتها، تتساقطُ أخيلةُ الضوء المكسورِ
تُقَبِّتُ بالدهر... فما برحت... تتعهَّدُ أجيالًا وعصورُ
بسنانٍ خريفٍ يطعنُها، فتصدُّ الطعنة باليخضورِ

يَمْتَصُّ الشَّمْسُ... وَيَعَصْرُهَا... حَتَّى يَتَلَاشَى مِنْهَا الْحَيْلُ
فَإِذَا امْتَلَأَتْ أَعْوَادُ الزَّهْرِ... بِذَوْبِ الضَّوءِ... وَفَاضَ الْكَيْلُ
خَرَجَ الطَّاوُوسُ مِنَ الْأَغْصَانِ، يَجْرُ أَرْجَا خَلْفَ الذَّيْلِ
يَتَهَادَى الرِّيشُ مَعَ الْأَوْرَاقِ لِيَنْفَشَ فِينَا عَطَرَ اللَّيْلِ

حِينَ اخْتَارَتْ حَوَاءُ لِسْتِرَ خَطِيئَتَهَا أَوْرَاقَ التَّوْتِ
وَأَحْسَتْ لَطْفَ حَنَانِ الْمَلَمْسِ فَوْقَ اللَّوْلُوِّ وَالْيَاقُوتِ
نَزَعَتْهَا تُطْعِمُ دُودَ الْقَرْزِ... فَلَا يَدْرِي مَا عُقْبَى الْقُوْتِ
يَمْضِي... لِيَحُوكَ حَرَائِرَهَا... ثَوْبًا لِلْعَفَّةِ ثُمَّ يَمُوتُ

الضيف^(١)

بذكریات الهوى جفُّ الشباب صحا
يعلمُّ الغزل الرقراق والمرحاً
بشارةُ الشعر ضيفٌ في حديقتنا
بالشمس معتمراً... بالريح متّشحا
ألوانُ بُردته... فحوى صنوبره
والشال ينسله من غيمه قُرْحاً
حطَّ الهزار وغنى فوق منكبه
ليستعيد لنا العصر الذي صدحا

(١) حل الأخطل الصغير ضيفاً في حديقة الدكتور علي شلق بتمثال نصفي من صنع الفنان الراحل حلیم الحاج فاستقبله النخيل والصنوبر وحواريو علي.

كأنها العود «لم يُخْنَقْ له... وتر»
أو أن عازفه طيفٌ لمن نرحا
مدَّ النخيل له من شاهقٍ سعفاً
مستجدياً من جنى ديوانه البلحا
والغصن يمسح بالمنديل مقلته
ليرشف الشعرَ من دمعٍ به نضجا
فرَّت فراشته من بين بسمته
رفَّت على أُذُنٍ جذليٍّ بها نفحا
تراه يولي «عليّاً» في وصيته
أمر القوافي... وأمر الظبي إن سنحا!
أم أنه نُصِبَ في منصبٍ عجبٍ
«يبكي ويضحك لا حزناً... ولا فرحاً»

المعبد العاصي

العاصيان اتَّحدا
قِرابَةً ومَحْتِدا
تعاهدا بالسُّنْدِسِ المكتوبِ خطًّا مفردًا
هذا تجلَّى كرمه
وذا تعلَّى معبدا

من نبع «باخوس» ارتوى النهرُ... فطاب موردا
يجري على أحقابهِ
يَمُدُّ بالكأسِ اليدا
ويُثْمَلُ الأحجارُ... والأَيَّامُ... في وسع المدى
الأمْسُ طال سكره

فتعتعَ الأمسُ الغدا
حاشية الأطيّار ترعى جوقهُ المغرّدا
إذا دعاه طربُّ
دَعَتْ إليه معبدا

ورصّعتُ فيروزُ أدراجَ الزمان بالندى
بنفخةٍ من السماء... وشيها رجُعُ الصدى
خليلها المطرانُ في محرابها... تهجّدا
وهلّ من قدّاسه
شعرٌ... أضاء المِرْبدا

تنهّدَ العنقودُ في جفن الكرى... مسهّدا
فساكنتهُ شمسُه
وشعّشعتهُ عسجدا
وعتّقته... في جرار نصبتها... عمّدا

وأورثته نورها
وأطلقته مزبدا
فشنّ خمره على
أنصائها... وشردا

هي الأساطير التي
هبت على العمر سدى

جدل

رشفْتُ ما تسكب العينان من عسلٍ
طويتُ خصركِ... بالأشواق والأملِ
شممتُ عطركِ من أزهار عاطفتي
نَسَفْتُ باقاتها... في دفتر الغزلِ
أدوّنُ القامة الهيفاء في خَلدي
وأرسم الثغر بالألوان... والقُبلِ
أُظهِرُ الحُلُم... أُمليه على ورقٍ
حيكْتُ رقائقه من دهشة المُقلِ
لملمتُ في الليل ما تُلقين من مُلحٍ
فوق النهار... وما تُبدين من جدلِ

عانيتُ بينهما... ضوءاً... وأخيلةً
والشعر زاعغَ قوافيه... من الثَمَلِ
فما استقام له وزنٌ... ولا نغمٌ
وانتاب أوتاره مسٌّ من الجدَلِ
القلب رانٍ إلى لقياك في شَغَفٍ
والوجهُ مختبئٌ في حُمرَةِ الخَجَلِ

بساط الماء

إلى حُلُمٍ رخيٍّ الريحِ
يحملني بساطُ الماءِ
على طَرَفَيْهِ زينتُهُ
تدلّت من حميمِ فضاءِ
نخيلٍ غنجهُ سَعَفُ
يخاصر نسمةً ميساءِ
يهدّل أغصنًا عطشى
فتندى الأغصن الشَّمَاءِ
وترقصُ مثل أكوابِ
سليلةٍ قامةٍ هيفاءِ

على أعناقها حُلِّي
مَنْ المَرَجَانِ والخَيْلاءُ
كَأَنَّ النِيلَ يُترَعُّها
لترتَعُ في عَنانِ سماءِ
أو ان الغيمَ يسْكُها
رذاذًا أخضرَ الأسماءِ



بَلاطُ جلالَةِ التاريخِ
... أم هي صفحة النهرِ؟
عليها مَرَّ فرعونُ
كما أمواههُ تَجري
توهُمَ رهنَ قبضَتِهِ
زمامَ الأرضِ والدهرِ

وظنَّ الخلدَ حارسَه
على الجثمانِ في القبرِ
وأنَّ بيأتَه لهوٌ
وراحةٌ أوَّلُ العُمُرِ
فأحمى الكهفَ من بردٍ
بجافيةٍ من الخُمُرِ
وصانَ الحُلُمَ من عبثٍ
بتابوتِ من التبرِ
تخنَّطَ حُلُمُه أثرًا
ليخلدَ دونَ أنْ يدري



بساطٌ مثنُّهُ نَسْجٌ
من الأزمان والأحسانِ
سرى في حوض موسيقا
فغَنَّتْ جَوْقَةُ الْكَرَّوانِ
وأحيت طَقْسَهَا في الكرنكِ
الخالِي من الكُھَّانِ
ألا يا نورس الرؤيا
بماذا ينبئُ الفيضانِ
فهذا الماء أخضُرُّهُ
يجاور باهتَ الألوانِ
وأَسْـوَا نِجْـوَانِ بجيرُها
قَدْ الرملَ بالشريانِ

وتلوي رقبَةَ الوادي
لتلفته... لـوادي ثانٍ
رأيتُ النيلَ ترويه
جداولُ من بني الإنسانِ



أطيرُ شراعي الذكرى
تواكبُ به جمائهُ
تهدني خوافيه
وتسعى بي قوادمُ
أزورُ هـوأي... أطلالاً
فتنعشني نسائهُ
لكم أودعْتُه شعري
فباحثُ بي مواسمهُ

ببيتٍ شَفَّ قَاتُهُ
وبيتٍ رَفَّ نَاعُمُهُ
يخُطُّ الشَّعْرُ لِلْبُرْدِيِّ...
أَجْنَحَةً تَنَادِمُهُ
إِذَا مَا هِيَضَ مِنْهُ الرِّيشُ
تَحْمِلُهُ غَمَائُهُ
وَقَدْ يَهْوِي فَيَلْقُهُ
بَسَاطٌ... جَلَّ نَازِمُهُ

أبجد

قَحْطَانُ سِبْطُ الْأَرْجَوَانُ
وَنَخِيلُهُ الْأَرَزُّ الَّذِي وَرِثَ الزَّمَانُ
يَبْدَأُوهُ بِحَرْفٍ تَوَسَّطَ مَا أَسْرَّ الثَّلْجُ فِي أُذُنِ الْمَكَانِ
وَتَغُورُهُ بَثَّتْ عَلَى الْمَوْجِ الْفَصِيحِ
سَفِينَةُ الْحَرْفِ الْبَيَانِ
الْفَجْرُ «أَبْجَدُ» فِي الْيَرَاعَةِ وَاللِّسَانِ.

قَحْطَانُ فَتْيَانُ وَالْوَانُ وَأَعْلَامُ
تُشْنُ بِدَمْعَةِ الْحَزَنِ الْعَوَانِ
وَتَتَفَسُّ الْكَلِمَاتِ صَهْوَتُهُمْ إِلَى قَصَبِ الرَّهَانِ...
سَيَشْكُلُونَ حُرُوفَهُمْ لَتَظَلَّ فِي طَوْعِ الْبَنَانِ

كي لا يُلَفَّ السطر حول رقابهم كالأفعوان.
أعلى أحيرامٍ مراكبه وأطلقَ للمجاذيفِ العِنانُ
وغزا سليمانُ «ملاعبَ جَنَّةٍ»
من غير أن يُصغي لِرَطَنِ التَّرجُمانِ
فتكَوَّرتْ ضادٌ وشعٌّ منارُها أَلِفًا تَلينُ،
وهمزةٌ للعنفوانِ

الخصيب

إِنْ ذُبَّتْ فِي حَرِّ اللَّهَبِ
فَكَذَلِكَ الْحَرُّ الذَّهَبُ
وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي
أَلْقَى رِمَادَكَ... وَاعْتَرَبُ
تَتَقَمَّصُ الْأَبْدَانُ شَكْلَ الرُّوحِ... فِي يَوْمِ الْغَضَبِ
أَشْرَقَتْ... تَلَمَّسُكَ الْعَيُونُ... فَهَلْ طَوَاكَ الْمُنْقَلَبُ؟
أَنْتَ الْخَصِيبُ، فَأَيْنَ دَوْحُكَ، أَيْنَ نَبْعُكَ... وَالْغَرْبُ^(١)

(١) كان الخصيب قاضيًا من ولاية مصر في العصر العباسي وكان مشهورًا بكرمه وجوده،

وقد مدحه الشعراء... ومنهم قول أحدهم:

أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدْفَقَا فَكَلَاكَمَا نَهْرُ

وفي لسان العرب... رجل خصيب: بين الخصب، رطب الجناب، كثير الخير.

النَّيْعُ: شجر صلب ينبت في أعالي الجبال.

الغرب: شجر ضعيف ينبت على ضفاف الأنهار.

يا نخلةً عربيةً...
دُجِحتْ... فخَضَّبتِ النَّسْبُ
قد سالَ ظِلُّكَ دامعاً...
في نجمةٍ لا تُرْتَقِبُ
هُزِّي إِلَيْكَ مجذعٍ قبرٍ... لم يمت فيه العَصَبُ
لِيُسَاقِطَ النُّجُمَاتِ من
عليائها... فوق الرُّطْبِ
يا وارفاً بالخيرِ ممهوراً... بأعوامِ السَّغَبِ
أو ما رأيتِ النهرَ عُلقَ في ضفافك وانضَلَبَ
جاءتْ شموعُ العاشقين... وكلُّهُم أَهْلُ الحَسَبِ
وجميعهم فردٌ توَحَّدَ بين مفجوع... وَصَبُّ
رسموا الإشارة... كلُّما الناقوسُ أَجْهَشَ وانتَحَبَ
وامتدَّتِ الراحاتُ فاتحةً إلى الله الطَلَبِ
أن يشفقَ الموتى على

الأحياء... في حُزْنٍ عَجَبٍ

مَنْ أَحْرَقَ الزَّيْتَ الْمُقَدَّسَ... قبلما الزَّيْتُ انْكَبَ

مَنْ كَانَ لَوْمَ شَرَارَةٍ...

مَنْ كَانَ حَمَّالَ الْحَطَبِ

مَنْ أَطْفَأَ الْأَحْلَامَ فِي عَيْنِ الْعَشِيرَةِ... وَالْعَرَبِ

تَبَّتْ يَدَاهُ أَبِي لَهَبٍ

تَبَّتْ يَدَاهُ... بِمَا كَسَبَ

المحتويات

٥	المقدمة بقلم سمير عطالله
٩	المرآة
١١	هاتف في السحر
١٣	الخور العاشق
١٥	سيّدة الريح
١٧	هزيع الفجر
١٩	الرمل ديوان النخيل
٢٥	الرحلتان
٢٧	درّة من ضلع الحجر
٣١	صلاة الزمان والظلال
٣٣	على قبر عبد الناصر
٣٧	وادي العرايش
٣٩	جنّة يوسف الصّدّيق

٤١	إلى يقظان بن حي
٤٧	جَيَاد الجَسَد
٥١	عين يعقوب
٥٧	الضيف
٥٩	المعبد العاصي
٦٣	جدل
٦٥	بساط الماء
٧١	أبجد
٧٣	الخصيب
